نصيحة بشأن طاعة أولياء الأمور واحترام العلماء أثناء جائحة كوفيد-19

كتبت هذه المقالة (باللغة اللإنجليزية) ونشرتها في شوال 1441 الموافق ليونيو 2020 وأيضا في جمادى الآخرة 1442 الموافق ليونايو 2021:

بسم الله والحمد لله.

كما قلنا مرارًا ، يجب على المسلمين طاعة الحكام في الاحترازات والتدابير التي فرضوها بناءً على اجتهادهم في الأمر ، لأنهم لم يفعلوا ذلك إلا رغبة في الخير لرعيتهم. وقد أمر العلماء بطاعتهم لأن (هذه الطاعة) أصل في السنة وليس لأن "العلم" (science) الذي يدعيه فرد أو مؤسسة معينة يقتضي منا ذلك.

من ادعى أن الحكام مطاعون لأن "عمليات الإغلاق" و "التباعد الاجتماعي (بمترين)" و "تتبع الاتصال" للأشخاص الأصحاء والخاليين من الأمراض صالحة في الطب والصحة العامة أو لأنه هذه الأمور المعينة مشروعة في الدين ، فهو يقوم بتعريض الحكام والعلماء للهجوم والطعن في المستقبل.[1]

ولكن من قال: إن الحكام مطاعون لأن السنة تأمر بطاعتهم في غير المعصية ، ولو كان فيه مشقة وصعوبة ، فلا يمكن مهاجمة هذا الموقف ، و العلماء ينصحون باتباع السنة . فإنه يمكن دائمًا مهاجمة ادعاءات العلم (science) والطب وتقويضها وإظهار خطأها وزيفها بعد سنوات ، إن لم يكن بعد أسابيع أو شهور. وهذا قد يؤدي إلى صدور الغضب والاستياء وعدم الثقة وما شابه ذلك بين الناس مما قد يؤدي إلى سلوكيات ونتائج غير مرغوب فيها.

ولهذا عندما يقال (للمسلمين) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة".

فهذا أصل في ديننا أن نسمع ونطيع الحكام في غير المعصية، فلا يمكن لأحد أن يهاجم هذا الموقف أو يجد أي خطأ فيه. لا يوجد إلا الخير في تطبيق هذه السنة النبوية. يثاب الحكام على اجتهادهم ، والعلماء يثابون ويمدحون على دعوتهم إلى السنة.

أيضا ، هناك فرق كبير بين (حكام المسلمين) والحكام والأمم الغير المسلمين – لديهم العديد من الأيديولوجيات والفلسفات العلمانية التي يرغبون في إبقاء مجتمعاتهم عليها وبالتالي ، غالبًا ما يكون لديهم دوافع خفية ، وفي كثير من الحالات ، هم مدينون للمصالح الخاصة فلا يعملون حقًا لمصالح رعاياهم.

في المقابل ، فإن الحكام المسلمين – حفظهم الله – بريئون من هذه الأيديولوجيات والأهداف. إنهم ببساطة يعملون من أجل الحماية والفائدة الحقيقية لمجتمعاتهم على أساس ما يرون أنه علم موثوق به ولوائح وتدابير مناسبة.

وعليه، فكل هذا يقتضي الانقياد والطاعة طبقا للسنة.

وأما وجه المشقة والضيق وضياع العمل والرزق ونحو ذلك ، فينبغي أن يعلم أن هذا كله ابتلاء من الله (عَزَّوَجَلَّ) ، والله (عَزَّوَجَلَّ) يجلب البلاء إلى عباده بوسائل متنوعة .لا يمكنهم الهروب منها ، ومن ثم ، لا يمكن دفع هذه البلايا والمحن إلا بالتوبة والاستغفار وإصلاح النفس.

وقد نقل ابن كثير (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) في تفسيره لآية {**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا**} [الروم: 41] عن أبي العالية (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) قوله: (من عصى الله فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة).

ولا بد من التفكر في مسألة القضاء والقدر، في حكمة الله في أفعاله وعدله، ودور الذنوب والمعاصي في تقييد الرزق وإزالة الأمن ونحو ذلك، وأن لا ننساها، وبذلك يبتعد الإنسان عن الغضب على الصعوبات والمشاق، ويتجنب تفريغ ذلك الغضب على نحو ضار ومخالف للسنة، ويعود بدلاً من ذلك إلى قلبه وروحه وإصلاح نفسه، مع الاعتماد على الله وسؤاله بالفرج، دون إهمال في الوقت نفسه السعي وراء مصالحه في الدنيا ومحاولة التقليل من البلاء، لأن هذا جزء من التوكل على الله في حصول الفرج.

أبو عياض

[1] ويرجع ذلك إلى أن هذه التدابير المعينة مبالغ فيها وتستند إلى نظريات طبية غير متفق عليها ومثيرة للجدل.